تاريخ الإرسال: 2019/10/01 تاريخ القبول: 2019/10/09
تاريخ النشر: 2020/04/26

الوقف كمصدر دعم للرعاية الاجتماعية ـ شواهد من الحضارة الإسلامية-

Waqf as a source of support for social welfare - Evidences from the Islamic civilization –

[1] أبو بكر حبوسة ؛ [2] كمال لحمر
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- aboubakrhaboussa@gmail.com
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- Lahmar_kamel@yahoo.co.uk

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تجلية حقيقة الوقف والتعريف به كنظام ظل لقرون طويلة الركيزة الكبرى لدعم جوانب الرعاية الاجتماعية، التي تنوء اليوم بحملها الدوائر والقطاعات المعنية، فقد اضطلع نظام الوقف بأداء الوظائف الاجتماعية والصحية والتعليمية ...وغيرها، وقد سجل مؤرخو الحضارة الإسلامية أهمية عظمى للأوقاف حتى اعتبروها المحرك الأساسي والحامي والمغذي لكل أمور الحياة في الدولة الإسلامية.

تشهد الحضارة الإسلامية أن الوقف كان العمود الفقري للمدارس والمكتبات والمستشفيات، كما كان العمود الفقري لمؤسسات الضمان الاجتماعي ورعاية اليتامى والعجزة والمساكين، ومازالت بقاياه ومؤسساته شاهدة على ذلك: كالمدرسة النورية بدمشق والنصرية بالأندلس، المستشفى العضدي ببغداد والمنصوري بالقاهرة.

الكلمات المفتاحية: الوقف، مؤسسات الرعاية الاجتماعية.

Abstract :

This research aims to reveal the truth of the endowment (Waqf) and to define it as a system that has been for many centuries the cornerstone of supporting the social welfare aspects that the concerned departments and sectors can not bear today. The Waqf

system has performed social, health, educational and other functions. Historians of Islamic civilization have attached great importance to the endowments, which they considered the main engine, protector and feeder for all matters of life in the Islamic state.

The Islamic civilization attests to the fact that the Waqf was the backbone of schools, libraries and hospitals. It was the backbone of social security institutions and the care of orphans, the elderly and the needy. Its residences and institutions still witness this: the Nuria School in Damascus, Nasriyah School in Al-Andalus, Al-Adhodi Hospital in Baghdad and Al-Mansouri Hospital in Cairo.

Keywords: Waqf, Social Welfare Institutions.

المؤلف المرسل: أبو بكر حبوسة، إيميل: aboubakrhaboussa@gmail.com

1.مقدمة:

الوقف نظام قديم عرفته نظم وشرائع سابقة على الإسلام، وإن لم يسمى بهذا الاسم لأن المعابد كانت قائمة، وما رصد عليها من عقار لينفق من غلاته على القائمين عليها كان قائما ثابتا، ولا يمكن تصور هذا إلا في معنى الوقف، فقد عرف الوقف في الحضارة البابلية والفرعونية والرومانية؛ ففكرة الوقف وجدت أشباها لها في النظم القديمة والشرائع السابقة، لكن في الإسلام وضع النظام في سياق يستقل

بقواعده ومصادره، فلم يكن نظام الوقف في الإسلام نظاما مستجلبا أو تجميعيا لعادات سبقت الإسلام، بل هو نظام يستمد إطاره العام من القرآن الكريم وأصوله المباشرة من السنة النبوية الشريفة، أما تفاصيل أحكامه فقد ساهمت فيها كل المذاهب الإسلامية.

وبذلك يعد الوقف إحدى الصفحات الناصعة في سجل الحضارة الإسلامية فقد قام بدور حضاري شهدت له العصور السابقة، من خلال العديد من المجالات التي عالجها أو ساهم فيها، ففي المجال الاجتماعي كان له دور بارز في التخفيف من الأزمات وتحقيق التكافل الاجتماعي ورعاية الضعفاء والمساكين والأرامل، ومن الوقف ما كان يصرف ريعه في إنشاء المستشفيات وتوفير الأدوية والأجهزة الطبية كما كان للوقف دوره في المجال العلمي تمثل في تشييد المدارس ونشر العلوم.

وفي ذات الإطار أورد الدكتور مصطفى السباعي (رحمة الله عليه)، في كتابه من روائع حضارتنا أهم هذه الأوقاف التي قامت في المجتمع الإسلامي وعلى المصارف التي تصرف فيها فذكر منها:(المساجد،المدارس، المكتبات العامة المستشفيات،الفنادق، السقايات والآبار، القنوات الرباطات للمجاهدين، السلاح للجنود إصلاح الجسور، المقابر، الإنفاق على العلماء، النحر للأضاحي). وهكذا امتدت رسالة الوقف حتى شملت جميع مجالات الرعاية الاجتماعية: دينية، اجتماعية صحية، تعليمية؛ هذه المسارات التاريخية لنمو الوقف ودوره في دعم جوانب الرعاية الاجتماعية مدى العصور والأمصار، لا تسعها المجلدات، وقد كتبت فيها مؤلفات وسنستعرض ملامح الأدوار والوظائف التي اضطلع بها الوقف من خلال ثلاثة مجالات رئيسية جامعة هي: المجال الاجتماعي الصحي، التعليمي.

2. الوقف في الإسلام.

عرف الوقف عند المسلمين في حياة النبي عليه الصلاة والسلام حيث كان صلى الله عليه وسلم من أجود الناس في بذل الخير، والصدقات والإحسان إلى الناس، حتى أن من تناولوا سيرته[1] صلى الله عليه وسلم ذكروا أبوابا خاصة في بيان صدقاته صلى الله عليه وسلم وإنفاقه في الخير، ولا بد حتى يأخذ هذا العنصر حقه في البحث من إيراد بعض النماذج الوقفية التي تبين نشأة الوقف في الإسلام:

1.2 العصر النبوي:

أول وقف ديني في الإسلام هو مسجد «**قباء**» الذي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم حين قدومه مهاجرا إلى المدينة، قبل أن يدخلها، وهو في ضيافة كلثوم بن الهدم شيخ بني عمرو بن عوف، ثم المسجد النبوي في المدينة دار الهجرة، بناه النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى للهجرة، عند مبرك ناقته، لما قدم مهاجرا من مكة إلى المدينة[2] .

وأول وقف من المستغلات الخيرية، عرف في الإسلام، وقف النبي عليه السلام، وهو سبعة حوائط بالمدينة، كانت لرجل يهودي، اسمه **مخيريق**، وكان محبا ودودا للنبي عليه السلام وقاتل مع المسلمين في وقعة «**أحد**» وأوصى: إن أصبت – أي قتلت – فأموالي لمحمد، يضعها حيث أراه الله تعالى، وقد قتل يوم أحد وهو على يهوديته، فقال النبي عليه الصلاة والسلام :«**مخيريق خير يهود**» وقبض النبي تلك الحوائط السبعة، فتصدق بها، أي وقفها.

2.2 عهد الصحابة رضوان الله عليهم:

لعلنا نشير إلى واقعة تاريخية مهمة يمكن عدها إنشاء لأكبر وقف في التاريخ البشري كله، وتطبيقا موسعا لفكرة الوقف نفسها وهذه الحادثة التاريخية المهمة هي فعل عمر بأراضي البلاد المفتوحة، بعد الفتوح الكبرى في الشام ومصر والعراق ذلك أن الخليفة الثاني بعد حوار مطول مع المعارضين، واستشارات واسعة لأعلام

الصحابة، رأى أن لا يوزع الأراضي الزراعية على المجاهدين الفاتحين، واعتبر أن فيها حقا للأمة أولها وآخرها، فقرر اعتبار هذه الأراضي وقفا على الأمة بأجيالها كلها، يصرف في مصالحها ويكون فيه حق للأجيال القادمة لا يقل عن حق الجيل الأول، وأخذ أجرة لهذه الأراضي ممن هي في أيديهم، عرفت في التاريخ الاقتصادي الإسلامي باسم الخراج[3].

3.2 عهد الأمويين:

كثرت الأوقاف في عهد الخلافة الأموية توسعت الأوقاف، وازداد عددها من قبل الناس كما تعددت مصارف الوقف، ولم تعد مقتصرة على الفقراء والمساكين وإنما شملت مظلتها المدارس ومراكز التعليم، وكذلك مصاريف المدرسين والعاملين فيها، كما شملت مصارف الأوقاف:إنشاء المساجد، ومأوى العجزة والأيتام والمكتبات والصرف على ما يصلحها، ويرفع من مستوى خدماتها.

ونظرا لهذا التوسع الكبير في حجم الأوقاف وتأثيرها، فقد تطلب الأمر تكوين هيئات أو أطر تنظيمية محددة، بدلا من قيام الواقفين برعايتها بأنفسهم، وهذا الأمر جعل الحكام يحرصون على نصب القضاة والقائمين على القضاء الشرعي على القيام بمهام المحافظة على هذه الأوقاف ورعايتها وحفظ أملاكها، فقد كان القاضي أبو الظاهر عبد الملك بن محمد الحزمي يتفقد الأوقاف ثلاثة أيام كل شهر فإذا رأى خللا في شيء ضرب المتولي لها عشر جلدات عقابا له على الإهمال فيها[4].

4.2 الوقف في العصر العباسي:

في العهد العباسي حصل تنظيم أدق للدواوين، واستفادوا من الإنجازات التي تمت في مجال الإدارة وتنظيم الدواوين في العهد الأموي، واعتمدوا الدفاتر الثابتة في

التسجيل والتدوين، بدلا من الصحف المتفرقة التي كانت في العهد الذي قبله، وذلك للتوثيق وحفظ الوقف من الضياع[5].

ويظهر التتبع التاريخي الموجز للعصرين الأموي والعباسي، أن التراكم الكمي للوقف، وانتشاره جغرافيا وكذلك تنوع مصادره في قطاعات حيوية مثل قطاع التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية، وقد أدى التوسع في إنشاء الأوقاف، وهذا الامتداد في غاياتها الاجتماعية، وإقبال الناس على الوقف، إلى ظهور الحاجة إلى تنظيم الوقف من جانب الدولة واعتباره إحدى المؤسسات العاملة والفاعلة التي يصبح الإشراف عليها ضرورة اجتماعية واقتصادية[6].

5.2 الوقف في العهد العثماني:

رغم انتقال مؤسسة الخلافة بعظمتها وهالتها لأول مرة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الأقاليم العربية سواء في الشام أو العراق أو مصر إلى بلاد الأناضول، إلا أن ذلك لم يغير من الأمر شيئا، إذ الإسلام هو الإسلام في أي أرض وتحت أي سماء، فلقد التزمت الخلافة العثمانية بتعاليم الإسلام وأخلاقياته ونظمه ومن ثم لم تتوقف حركة المجتمع الإسلامية وكذا الدولة في إنشاء الأوقاف الجديدة وترميم القديمة، ووضع نظم وتشريعات لإدارتها بطرق سليمة ميسورة[7].

أبدع المسلمون في وقف المستشفيات، حتى إننا وجدنا في ذلك العصر شروطا تدل على الوعي التام، والرحمة التي تعبر عن إنسانية الإسلام ورفقه، فلقد كان يذكر في نص الوقفية وجوب تقديم طعام كل مريض في إناء مستقل خاص به من غير أن يستعملها مريض آخر، ووجوب تغطيتها وإيصالها إلى المريض بهذا الشكل، وقد خصص في البيمارستانات قاعات مستقلة للمؤرقين من المرضى، إذ كانوا يعزلون فيها، فيشنفون آذانهم باستماع الأناشيد، والاستماع إلى القصص التي يرويها عليهم القصاص حتى يغلبهم النوم، وقد ظلت هذه العادة حتى دخول الحملة

الفرنسية على مصر عام(1798م)، فشاهدها العلماء الفرنسيون بأنفسهم وكتبوا عنها مما يدلل على البعد الإنساني والأخلاقي والنفسي الذي كانت تقوم به هذه المؤسسات الرائعة في تاريخنا المجيد[8].

ويذكر الدكتور مصطفى السباعي في كتابه«من روائع حضارتنا » بما كان قد سمعه في مدينة طرابلس عن وقف غريب مخصص ريعه لتوظيف اثنين يمران بالمستشفيات يوميا، فيتحدثان بجانب المرضى حديثا خافتا ليسمعه المريض بما يوحي له بتحسن حالته واحمرار وجهه وبريق عينيه[9].

6.2 الوقف في العصر الحديث:

بالرغم من استمرار العمل بالوقف بعد انحسار الدولة العثمانية في معظم الدول الإسلامية، إلا أن الاهتمام به قد تراجع في الكثير من الدول الإسلامية، بعد الهجمة الاستعمارية الشرسة على العالم الإسلامي، التي استهدفت كل النظم الإسلامية، ومنها نظام الوقف، فقد أراد الاستعمار إذلال الشعوب الإسلامية وجعلها تعيش في حالة من التبعية، بالإضافة إلى التحول الجذري الذي ظهر في طبيعة العلاقة بين الوقف والدولة حين حاولت هذه الأخيرة التقليل من الاستقلال النسبي للأوقاف، وحلول الدولة الحديثة محل الأوقاف في تمويلها لمختلف مجالات الحياة الاجتماعية التي كان الوقف في السابق يمثل مصدر تمويل لها، بالإضافة إلى قلة الوازع الديني وعدم وجود توعية إرشادية من الدول الإسلامية عن أهمية الوقف وخوف الناس من المبادرة بأوقاف تستولي عليها السلطات الإدارية.

3. الدور الحضاري للوقف في دعم مؤسسات الرعاية الاجتماعية.

أسهم الوقف إسهاما كبيرا في دعم مؤسسات الرعاية الاجتماعية بكل ضروبها، فقد كانت رسالته وأدواره واضحة في رعاية الفقراء والمساكين وابن السبيل والأيتام، والأرامل والمنقطعين وإرضاع الأطفال اليتم، ورعاية النساء اللواتي

طلقن، وتوفير مياه الشرب، وشق الطرق وبناء القناطر، وإنشاء الزوايا والأربطة وبناء المستشفيات والمعاهد الطبية، وتشييد المدارس والمكتبات العلمية، وإقامة المساجد والزوايا وتعميرها بطلاب العلم....وهكذا امتدت رسالة الوقف حتى شملت جميع مجالات الرعاية الاجتماعية: اجتماعية، صحية، تعليمية.

1.3 دور الوقف في المجال الاجتماعي:

وتأكيدا لدور الأوقاف الاجتماعي يشير الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في كتابه «الوقف في الفكر الإسلامي» إلى هذا العمل المتميز بقوله: " إن الوقف عمل اجتماعي، دوافعه في أكثر الأحيان اجتماعية وأهدافه دائما اجتماعية فالأوقاف الإسلامية في الأصل عمل اجتماعي".[10]

وعن هذا الخيـر وسعته وبركته يقـول الدكتور مصطفى السبـاعي:" كان الوقف هو الحجر الأساسي الذي قامت عليه كل المؤسسات الخيرية في تاريخ حضارتنا، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من ضرب المثل الأعلى لأمته في ذلك فأوقف سبع بساتين كان أوصى بها بعض المحاربين حين مات أن يترك أمرها للرسول صلى الله عليه وسلم يتصرف بها كيف يشاء، فأوقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفقراء والمساكين والغزاة وذوي الحاجات، ثم تبعه بعد ذلك عمـر بن الخطاب رضي الله عنه فأوقف أرضه بخيبر، ثم تبعه الصحابة رضي الله عنهم، فأوقف أبو بكر، وعثمان وعلي،والزبير، ومعاذ وغيرهم، حتى لم يبقى صحابي إلا أوقف من أمواله شيئا "[11]؛ ومن الفئات الاجتماعية التي نعمت برعاية الوقف في المجتمع الإسلامي نذكر:

1.1.3 رعاية الأيتام:

اهتم السلاطين وأهل الخير والمحسنون بهذه الشريحة الهامة في المجتمع، ووقفوا عليها وقوفا خاصة بها، أو وقوفا لمقاصد متعددة مآلها لهم.

وتعتبر المدرسة التنكزية التي أقامها الأمير سيف الدين أبو سعيد تنكز بن عبد الله الناصري سنة 729هـ/1328، مجمعا علميا ضمن مدرسة وخانقاه ودارا للقرآن الكريم ودارا للحديث الشريف ودارا للأيتام، بالإضافة إلى المصلى وغن الذين كانوا يقومون بالتدريس في دار القرآن هم أنفسهم كانوا يدرسون الأيتام[12].

وقد جاء في ذكر أخبار أصفهان أن أحد الصالحين كان يذهب بالأيتام يوم الجمعة إلى منزله وينظفهم، ومن ذلك أيظا ما نصت عليه وثيقة من حجج الأوقاف التي ترجع إلى عصر سلاطين المماليك بالقاهرة من أن (يكسى كل من الأيتام المذكورين في فصل الصيف قميصا ولباسا وقبعا وفي الشتاء مثل ذلك ويزداد جبة محشوة بالقطن)[13].

2.1.3 رعاية الأرامل والمطلقات:

يعد الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه أول من أوقف وقف لصالح الأرامل والمطلقات من بناته كما أوردناه سلفا، فقد جاء في صيغة وقفه لبعض دوره « وللمردودة من بناته أن تسكن غير مضرة ولا مضر بها »؛ وقد تطور العمل الاجتماعي لخدمة هذه الشريحة الاجتماعية وأنشئت مؤسسات اجتماعية متخصصة وكذلك الرباطات في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية على مر فترات التاريخ الإسلامي في بغداد ومصر وكذلك في المغرب الأقصى، فقد كان في مدينة فاس ملجأ خاص بالنساء الفقيرات ويتكون هذا الملجأ من دارين[14].

3.1.3 رعاية المتزوجين المحتاجين:

الغرض من هذا الوقف توفير الملابس الفاخرة والغالية، فضلا عن الحلي الذهبية للعرائس، اللواتي يزففن إلى أزواجهن ولا يستطعن الحصول على هذه الملابس والحلي، وكان أول من سن هذه السنة الحسنة في موضوع الحلي أم

المؤمنين حفصة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم إذ أوقفت عشرين مثقالا من الحلي لبنات آل الخطاب[15].

من ذلك أيضا ما وجد بمدينة فاس من تحبيس دور مؤثثة ومجهزة يقيم فيها الضعفاء حفلات زفافهم ويمكثون فيها بضعة أيام وبعضها كان وقفا على المكفوفين الذين يتزوجون[16] وكان بمدينة مراكش دار مخصصة للنساء اللاتي يقع لهن خصام وتنافر مع أزواجهن، فلهن أن يقمن فيها آكلات شاربات إلى أن يزول ما بينهم وبين أزواجهن من النفورن وكان لهذه الدار أوقاف عديدة للإنفاق عليها وعلى المقيمات فيها[17].

2.3 دور الوقف في المجال الصحي:

أسهم الوقف بشكل واضح في توفير متطلبات العلاج،وكانت أموال الوقف هي الدعم الأساس والمصدر الوحيد في كثير من الأحيان لتشييد المستشفيات ومراكز الدراسة في مجال الطب، وبالإضافة إلى ذلك رصدت أموال الأوقاف للإنفاق على مرافق صحية تابعة للمستشفيات، وتغطية مصاريف الخدمات الطبية المختلفة للعاجزين[18]؛ ومن أشهر تلك المستشفيات: مستشفى أحمد بن طولون، المستشفى العضدي ببغداد، والمستشفى النوري الكبير بدمشق، والمستشفى المنصوري الكبير بالقاهرة، ومستشفى مراكش بالمغرب وغيرها كثير وقد امتازت جميعها بدقة التنظيم والإدارة وفائق العناية بالمرضى على اختلاف مكانتهم.

1.2.3 مستشفى أحمد بن طولون:

أنشأ أحمد بن طولون البيمارستان المسمى باسمه بالفسطاط سنة 259هـ/872م، وقد سبقه في مصر بيمارستان في عصر ولاة الأمويين في دار أبي زبيد بزقاق القناديل بالفسطاط، ثم أنشئ بيمارستان المعافر سنة 247هـ/861م.

ويبدو أن هذين البيمارستانين كانا من الصغر وقلة الأهمية بحيث أن بعض المؤرخين اعتبروا بيمارستان أحمد بن طولون أول بيمارستان أنشئ في مصر[19].

وقد أنفق محمد بن طولون على هذا البيمارستان ستين ألف دينار وحبس عليه دار الديوان، ودوره في الأساقفة والقيسارية وسوق الرقيق، وعمل حمامين للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء، وشرط إذا جيىء بالعليل أن تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس لباسا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ[20].

كما قال عنه السيوطي: " وقد جعل ابن طولون في مؤخرة المسجد (يعني مسجد أحمد بن طولون) دار شفاء، ألحق بها صيدلية، أعد فيها من الأدوية، وأنواع الشراب، ما يلزم لإسعاف من يحدث له حادث من المصلين، خصوصا يوم الجمعة ورتب لهذه الصيدلية خدمها، وعين لها طبيبا، وألزمه بالتواجد يوم الجمعة استعدادا للطوارئ، وقد أصبحت هذه الدار فيما بعد مثابة للطلبة، الذين يتلقون بها دروسا في الطب والعلاج، ويتردد عليها الأطباء، حيث ألقت مباحثهم الطبية على أطباء الغرب ضوءا كبيرا"[21].

2.2.3 المستشفى العضدي ببغداد:

أنشأ هذا المستشفى عضد الدولة البويهي في بغداد سنة 366هـ/976م الذي قام بإصلاحات عظيمة وإنجازات كبيرة فأصلح ترع المياه وبنى المساجد والمستشفيات، وهو أول من تلقب بلقب (شاهنشاه)، "وقبل إقامته لهذا المستشفى استشار الرازي –الطبيب الشهير– ليختار له مكانا لبناء مستشفى يحمل اسمه، فطلب الرازي أن يعلق في كل ناحية من نواحي مدينة بغداد قطعة من اللحم، واعتبر الموقع الذي لا تفسد فيه اللحم هو الموقع المناسب صحيا لإقامة المستشفى عليه، وكان ذلك في الجانب الغربي من مدينة بغداد، وباشر عضد الدولة بنفسه، على بناء

البيمارستان وقيل أنه قصد في هذا البيمارستان أن يكون فيه أفاضل وأمهر الأطباء وأعيانهم"[22].

وكان المستشفى يضم 24 طبيبا للدلالة على اتساعه وتعدد تخصصاته وكانت المياه المسحوبة من نهر دجلة تجري في كل قسم من أقسام المستشفى[23] ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء والخزان، ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيء كثير ومن كل ما يحتاج إليه[24].

وفي عام 449هـ جدد الخليفة القائم بأمر الله هذا المستشفى، وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعز وجودها كثيرا وأقام الفرش واللحاف للمرضى، والعطور الطبية والأسرة والثلج والمستخدمين والأطباء والفراشين، وله بوابون وحراس، وفيه حمام، وبجانبه بستان قد حوي كل أنواع الثمار والبقول والسفن على مائه تنقل الضعفاء والفقراء، والأطباء يتناوبونهم بكرة وعشية، ويبيتون عندهم بالنوبة[25].

3.2.3 المستشفى النوري الكبير بدمشق:

أنشأه السلطان الملك العادل نورالدين الشهيد سنة549هـ /1154م من مال أخذه فدية من أحد ملوك الفرنج، وكان حين بناه من أحسن ما بني من المستشفيات في البلاد كلها شرط فيه أنه على الفقراء والمساكين، وإذا اضطر الأغنياء إلى الأدوية التي فيه يسمح لهم بها، وكان الشراب فيه والدواء مباح لكل مريض يقصده[26].

وقال ابن جبير وقد دخل دمشق سنة580هـ:"وبها مارستانان قديم وحديث والحديث أحفلهما وأكبرهما وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر دينارا، وله قومة وبأيديهم الأزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليه في الأدوية والأغذية وغير ذلك حسبما يليق بكل إنسان منهم، والأطباء

يبكرون إليه في كل يوم، ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الدواء والغذاء"[27]، وللمجانين المعتقلين أيظا ضرب من العلاج وهم في سلاسل موثوقون، وهذه المارستانات مفاخر عظيم من مفاخر الإسلام.

3.3 دور الوقف في المجال التعليمي:

كان لنظام الوقف الإسلامي، دور كبير في إيجاد المؤسسات التعليمية واستمرارها مثل المدارس، والمكتبات، ودور العلم ودور القرآن، والحديث، ومكاتب الصبيان، وإيجاد نظام داخلي يتولى توفير الجو العلمي الإسلامي للمدرس والطالب، من خلال توفير الدعم السخي للسكن والمأكل والمشرب والرواتب ومستلزمات التدريس التي تقدم للمدرس والطالب وبدرجات متفاوتة؛ وانتشرت الثقافة بين البوابين والفراشين، لأن شروط الوقفيات سهلت لهم ذلك، ولذا تجد أن البعض في هذه الفئات قد بلغ الذروة في العلم، وأصبح من كبار العلماء، كل ذلك بسبب أن أموال الوقف كانت تسمح لهم بالعمل والدراسة فيها[28].

1.3.3 المدرسة النظامية ببغداد(457هـ/1065م):

تعد من أشهر المدارس في التاريخ الإسلامي، وهي التي أنشئت عندما فتح السلاجقة الأتراك خراسان في أواخر القرن الرابع الهجري، فأراد الوزير الأول "نظام الملك" أن يعد شبابا مسلحا بالعلم، على عقيدة أهل السنة لتولي مناصب الدولة، خاصة في مجالات التدريس والقضاء والإفتاء في تلك البلاد[29].

وقد كانت نظامية بغداد أولى المدارس النظامية وأهمها، درس فيها مشاهير علماء المسلمين فيما بين القرن الخامس والتاسع الهجري، وقد بلغ عدد طلابها ستة آلاف تلميذ، منهم ابن أعظم العظماء من المملكة وابن أفقر الصناع فيها، وكلهم يتعلمون بالمجان، وللطالب الفقير فوق كل ذلك شيء معلوم يتقاضاه من الربع المخصص لذلك[30].

2.3.3 المدرسة النورية الكبرى بدمشق(567هـ/1171م):

انتقلت فكرة المدارس النظامية إلى الشام، حيث أنشأ حاكمها نور الـدين زنكي مدارس مشابهة للمـدارس النظامية، وسميت "بالمدارس النورية"[31]، وعلى رأسها المـدرسة النـورية الكبرى بديمشق ووقف نور الدين على المدرسة النـورية أوقافـا كثيرة يكفـي ريعها الـوفير للإنفاق على الطلاب والمدرسين إنفاقا متواصلا سخيا منها: طاحنتان،وسبعة بساتين، وأرض بيضاء، وحمام، ودكانان[32].

ويذكر الدكتور مصطفى السباعي عن هذه المدرسة قائلا:" ففي دمشق لا تزال المدرسة النورية التي أنشأها البطل العظيم نور الدين الشهيد، وهي الواقعة الآن في سوق الخياطين، لا تزال قائمة تعطينا نموذجا حيا لهندسة المدارس في عصور الحضارة الإسلامية ويضيف قائلا: لقد زارها الرحالة ابن جبير في أوائل القرن السابع الهجري، فأعجب بها وكتب عنها« من أحسن مدارس الدنيا مظهرا مدرسة نور الدين (رحمه الله)، وهي قصر من القصور الأنيقة، ينصب فيه الماء في شاذروان وسط نهر عظيم، ثم يمتد الماء في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر»"[33].

3.3.3 المدرسة النصرية بقصر الحمراء(750هـ/1349م):

المدرسة النصرية المعروفة باليوسفية اعتبرت في تلك الحقبة مركزا للعلوم الدينية بالدرجة الأولى، لكونها كانت هادفة لتثبيت الاستقامة والنور في علوم الدين، وكذا نشر المذهب المالكي، بنيت المدرسة على يد السلطان الناصر أبو الحجاج يوسف الأول ونسبت باسمه عند اعتلائه العرشن وكان في صدارة لائحتها القرآن الكريم، وكتاب الموطأ للإمام مالك بن أنسن ثم يليها كتب التوضيحات والتعليقات من كتابة وأقوال السلف[34]؛ تعد المدرسة من مفاخر غرناطة الإسلامية، تولى التدريس فيها نخبة من علماء الأندلس أمثال: أبي جعفر

أحمد بن خاتمة(ت770هـ)[35]، وواصلت مهمتها العلمية المزدوجة دينية وثقافية إلى آخر عهد المسلمين بالأندلس.

4.خاتمة

كان للوقف على مدار التاريخ الإسلامي إسهام متميز وبارز في دعم الرعاية الاجتماعية والمساهمة في تنمية المجتمع الإسلامي، ولم يقتصر دوره عند الاهتمام بضرورات الحياة الإنسانية أكلا وشربا وعلاجا، بل تجاوز ذلك إلى كماليات الحياة وتحسيناتها، كالاهتمام بالحيوان ورعايته والمحافظة على التنوع الحيوي في هذا الوجود.

وفي ضوء ما تقدم فإن هدفنا من دراسة تراثنا الفكري والاجتماعي هو أن نستفيد من التجربة التاريخية لا أن نسجن فيها، وأن نستلهم روحها ومنهجها لا أن نكررها في غير سياقها، وبيان استلهام روح الوقف يتطلب منا معرفة الواقع المعاصر وتحديد متطلباته وبالتالي توجيه مصارف الوقف الوجهة التي تحقق مصالح أمتنا في زمانها ومكانها وظرفها التاريخي والتحديات التي تواجهها؛ وفيما يلي طرح لبعض المقترحات عن كيفية إحياء دور الوقف في مجال دعم الرعاية الاجتماعية فمن ذلك:

– إدراج موضوع الوقف ودوره في دعم الرعاية الاجتماعية في البرنامج الوطني للبحث العلمي في العلوم الإنسانية، والذي يؤكد على أهمية ضبط البحث العلمي في المجالات الحضارية.

– التعرف على تجارب الدول الرائدة في استثمار الأملاك الوقفية في إطار المتغيرات الواقعية، وملاحظة مدى تلاؤم الأحكام المنظمة للوقف مع الظروف الاجتماعية والصحية والتعليمية المتجددة لتلك الدول، وما مدى إمكانية الاستفادة من تجاربهم لصالح الرعاية الاجتماعية.

– إقامة الأوقاف في المناطق النائية وتوفير وسائل الاستقرار من خلال المنشآت المختلفة الاجتماعية والصحية والتعليمية، وذلك لتفعيل النشاط في تلك المناطق وتعزيزا لإنعاشها على غرار ما فعله المسلمون في العهد العثماني.

– إسناد الأوقاف إلى بعض الجمعيات الخيرية لتتولى متابعتها وصرف ريعها وفق شروط الواقف، مع ضمان استدامتها بما يحقق الانتقال بالعمل الخيري من نمط الاستهلاك إلى نمط الإنتاج، وعدم تركها مجالا لتشجيع البطالة بين ضعاف النفوس.

5.المراجع

[1] الحجيلي عبد الله بن محمد بن سعد، الأوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ط1، ص22.

[2] مصطفى أحمد الزرقا، أحكام الأوقاف، دار عمار للنشر، الأردن، 1997، ط1، ص 11.

[3] منذر قحف، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2000، ط1، ص30.

[4] المهيدب خالد بن هدوب، أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعال،2005 ، طبعة خاصة بمناسبة الوقف والقضاء، السعودية، ص50.

[5] عكرمة سعيد صبري، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس للنشروالتوزيع الأردن، 2011، ط2، ص20.

[6] عبد الله العمر فؤاد، إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، 2000، ط1، ص13.

[7] راغب السرجاني ، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ط1، ص144.

[8] المرجع نفسه، ص148.

[9] مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع،1999، ط1، ص231.

[10] عبد الرحمان الضحيان، الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، دار المآثر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة،2001، ط1، ص98،99.

[11] مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص198- 199.

[12] عكرمة سعيد صبري ، مرجع سابق، ص490.

[13] عاشور سعيد، بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، القاهرة، مصر، دار عالم الكتب،1987، ط1، ص233.

[14] بلمقدم رقية، أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1993، ص62.

[15] رعد محمود البرهاوي، خدمات الأوقاف في الحضارة الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2017، ط3، ص195.

[16] أحمد الريسوني، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ط1، ص43.

[17] المرجع نفسه، ص43.

[18] الحسن تركوي، المقاصد الشرعية للوقف الإسلامي، روافد، الكويت، 2014، ط1، ص88.

[19] أحمد عوف عبد الرحمان، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، قطر، 2007، ط1، ص127.

[20] يحي محمود بن جنيد الساعاتي، الوقف والمجتمع نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية،عدد39، 1997، ص51-52.

[21] ياسين بن ناصر الخطيب، أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، 1422هـ، ص298.

[22] مصطفى ضاهر عبد الوهاب، عمارة المجمعات والمباني الطبية(البيمارستان) في الإسلام، شبكة الألوكة، (ب س)، ص22.

[23] عكرمة سعيد صبري، مرجع سابق، ص484.

[24] أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981، ط2، ص187.

[25] مصطفى السباعي، مرجع سابق ، ص227.

[26] المرجع نفسه، ص227.

[27] أحمد عوف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص106.

[28] عبد الملك أحمد السيد، الدور الاجتماعي للوقف، ندوة رقم16، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية، جدة، 1994، ط2، ص234

[29] محمد بن أحمد بن صالح الصالح، الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 2001، ط1، ص182.

[30] مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص214

[31] محمد بن أحمد بن صالح الصالح، مرجع سابق، ص183.

[32] محمد لزحيلي، وقف المدارس للتعليم بدمشق، كلية الشريعة، جامعة الشارقة،2011، ص10.

[33] مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص207.

[34] زكري لامعة،" الحياة الثقافية في الأندلس خلال القرنين (7-9هـ/13-15م)"، دورية كان التاريخية، تلمسان، 2012،عدد18، ص49.

[35] الشاطبي أبي إسحاق بن موسى الأندلسي، فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الوردية، تونس، 1982، ط2، ص29.